إسلام التسامح والتعايش

د. صبحي غندور*

ينطبق الآن على حال الأوطان العربية والإسلامية، وصف مرض «ازدواجية الشخصية»، ففي معظم هذه البلدان تزداد على المستوى الفردي ظاهرة «التديّن» واهتمام الناس بالعبادات الدينية، لكن مع ابتعاد كبير لهذه المجتمعات عن مبادئ الدين وقيَمه وفروضه الاجتماعية.

إنّ المسلمين عموماً، والعرب خصوصاً، بحكم دور ثقافتهم ولغتهم واحتضان أرضهم للمقدّسات الإسلامية، مدعوون إلى مراجعة هذا الانفصام الحاصل في شخصية مجتمعاتهم، وإلى التساؤل عن مدى تطبيق الغايات النبيلة في ما هو منصوصٌ عليه من قيم وواجبات دينية.

فأين الالتزام بقول الله تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم»، بغضّ النّظر عن أصولهم وأعراقهم وألوانهم وطوائفهم؟ أين العدالة والمساواة والشورى وكرامة الإنسان في كثير من المجتمعات العربية والإسلامية؟ وأين الوحدة في هذه المجتمعات، وأين هي بين بعضها البعض؟ أين التكافل الاجتماعي ومكافحة العوز والفقر؟ وأين دور الاجتهاد والعلم والعلماء، في مواجهة الجهل وعلامات الجاهلية المتجدّدة؟ أين رفض التعصّب والتمييز العرقي والإثني والطائفي؟ أين المسلمون من جوهر إسلامهم، وأين المسلمون من كونهم «خير أمّة أُخرجت للناس» بعدما حملت رسالة تدعو إلى الإيمان بالله الواحد وبكتبه ورسله، لا تفرّق بينهم، وتؤكّد على وحدة الإنسانية وعلى قيم العدل والمساواة بين البشر؟!

وهل ينسى المسلمون موقف عمر بن الخطاب «رضي الله عنه»، حين دعاه راعي كنيسة القيامة إلى الصلاة فيها، فرفض ذلك الخليفة عمر، حتى لا يأتي يوم فيقول أحدٌ: هنا صلّى عمر، ويدعو لتحويل الكنيسة إلى مسجد. فقد جرت في المنطقة العربية، على امتداد تاريخها العربي الإسلامي، المحافظة على الكنائس المسيحية ورعايتها.

والإسلام، كما عرفه وعاشه العرب المسلمون والمسيحيون «بل واليهود أيضاً»، هو إسلام التسامح والتعايش الديني، الذي حافظ على التعدّدية في المجتمع الواحد، خاصّة في ظل القيادة العربية لحقب التاريخ الإسلامي.

إنّ الله عزّ وجلّ يقاضي الناس ويحاسبهم على أعمالهم بشكل فردي، فلا تُحمَّل، بلا ذنب، جماعةٌ بأسرها، عائلةٌ كانت أم قبيلة أم طائفة أم أمّة، لأنّ أفراداً منها أساءوا. وهذه الحكمة الإلهيّة جليّة الوضوح في قوله تعالى: «ولا تزرُ وازرةٌ وزْرَ أخرى». إذ لا يجوز أن ينظر الناس إلى بعضهم بعضاً من مواقع عائلية أو قبلية أو طائفية، فيتمّ إمّا تكريم أشخاص أو ظلمهم تبعاً لانتماءاتهم، لا بسبب كفاءتهم أو أعمالهم.

بل أين المستقبل في سلوكهم الفردي مع أنفسهم ومع محيطهم العائلي والوطني، ممّا يقولونه في صلاتهم ويقرأونه في كتاب الله العزيز والسيرة النبوية الشريفة، من مفاهيم وقيَم وضوابط السلوك في التعامل مع النفس والآخر؟

وعسى أن يحمل حجّاج بيت الله الحرام هذا العام، في رحلة عودتهم سالمين بإذن الله، كثيراً من معاني الحج إلى أهلهم وقومهم. ففي تلك المعاني وحدها شفاء المجتمعات.. لا بركة «ماء زمزم» فحسب!

إنّ هناك معاني نبيلة عظيمة يمكن استخلاصها من مناسبة الحجّ، وما في هذا التجمّع السنوي البشري الضخم من مغزًى، يتجاوز طبيعته كركن عبادة متوجّب على من استطاع من المسلمين إليه سبيلا. ففي الحجّ يلتقي، من بقاع الأرض قاطبةً، ملايينُ من البشر. ويتساوى على أرض مكّة وفي مناسك الحجّ: الغنيّ والفقير، الأبيض والأسود والأسمر، الرجال والنساء، والحاكم والمحكوم. وفي الحجّ أيضاً تظهر وحدة الجنس البشري ووحدة الدين الإسلامي، فلا تمييز في الحجّ ومناسكه بين عربيٍّ وأعجميّ، ولا بين مسلم من هذا المذهب أو ذاك.

كذلك يرتبط الحجّ بوحدة الرسالات السماوية، وبتكريس الإيمان بالله تعالى وبكلّ رسله وكتبه، فالأضحية في الحجّ والمزار المقصود فيه وكثير من مناسكه، تتّصل بالنبيّ إبراهيم أبي الأنبياء، بمن فيهم موسى وعيسى وخاتم الأنبياء محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

هذه المعاني الكبيرة كلّها تتكرّر كلّ عام، على مدار أكثر من ١٤ قرناً، لأيام معدودة، ثمّ يعود الحجّاج بعد أداء المناسك إلى أوطانهم وأقوامهم ليجدوها كما تركوها، مليئة بنواقض ما عاشوه من نبل معانٍ، وما أدركوه من دروس عظيمة في الحجّ.

فالحجّاج في زمننا هذا يعودون إلى أوطانٍ عربية وإسلامية، لا تتوافق أوضاعُ الكثير منها مع حقيقة حكَم الحجّ ومعانيه، إذ يعيش بعض هذه البلدان انقساماتٍ حادّةً بين مسلمين ومسلمين، بينما جمعت مناسك الحجّ بينَ مسلمين من مختلف الفرَق والمذاهب والاجتهادات، والكلّ يعلم أنّ أحَدَ أهمّ معاني الحجّ هو إظهار وحدة المسلمين في تجمّعهم السنوي الهائل.

كذلك الأمر بالنسبة لأوطانٍ تتعدّد فيها الأعراق والإثنيات والطوائف، وبعضها يعاني الآن من حالات انقسام وتمييز، بما يتناقض تماماً مع ما نشهده في الحجّ من مظاهر الوحدة الإنسانية وغياب الفوارق بين الأجناس والأعراق.

يعود الحجّاج إلى أوطانهم ليجدوا في معظمها هذا الانقسام الاجتماعي الحادّ: بين الغنيّ والفقير، وبين الحاكم والمحكوم، وبين المحروم والمالك، بينما الدعاء في الحجّ «له الملكُ وحده، لا شريك له»!

في الحجّ يتساوى الناس أيضاً في لباسهم وأشكالهم، وحينما يعود الحجّاج إلى أوطانهم تصدمهم فئات من الناس مشغلة بأخر صرعات الأزياء وأشكال الوجوه والأجسام وزينة الحياة الدنيا!

يعود الحجّاج إلى أهلهم وقومهم ليسمعوا منهم من جديد، روايات وقصصاً عن خلافات بين أتباع هذا المذهب أو ذاك، أو من هم على دين رسول آخر من أحفاد النبيّ إبراهيم عليه السلام، ممّن وصفهم القرآن الكريم بـ«أهل الكتاب».

يعود الحجّاج إلى حياتهم العادية ليلمسوا فيها وفي مجتمعهم هذا التمايز الكبير بين الرجل والمرأة، ولمفاهيم وممارسات مناقضة لما عاشوه في الحجّ من مساواة بين الرجل والمرأة في كلّ المناسك، فالاختلاط بين الرجال والنساء، حلال في الحجّ وحرامٌ في غيره!

إنّ الحجّ ليس عبادة وأداء مناسك فقط يقوم بها المسلم من أجل التكفير عمّا مضى من ذنوبه، بل هو، كما صوم شهر رمضان المبارك، من أجل بناء مجتمع أفضل، ولتدريب الفرد على ما هو متوجّب عليه تجاه الإنسان الآخر والجماعة عموماً. فالصائم الذي يدرك قيمة الجوع والعطش، يشعر أيضاً بواجبه تجاه الآخرين والفقراء والمحرومين، ولذلك سُمّي شهر رمضان بشهر العطاء، والعيد من بعده هو عيد فطر المسلمين، الذين جمعوا بين حرمان النفس والعطاء، للآخرين.

فأعياد المسلمين «عيد الفطر وعيد الأضحى» مرتبطة بأعمال وسلوك وعطاء، وليست مجرّد احتفال فقط بمناسبات. وحبّذا لو يكون عيد الأضحى، في كل عام، هو عيد احتفال المسلمين بتكريس معاني الحجّ، وليس بالقيام بالأضحية فقط وبتكريم حجّاج بيت الله الحرام.

أبرزها قراءه الفنجان وتعليق التمائم والتطير

عادات وسلوكيات تفتح باب الشبهات

يمارس عدد من المسلمين بعض العادات والسلوكيات التي قد لا يدركون خطرها من الناحية العقدية، وأبرزها تعليق التمائم والسلاسل وضرب الودع وقراءة الفنجان أو الذهاب إلى بعض العرافين والمنجمين، فضلا عن التطير أو التفاؤل والتشاؤم ببعض الأشخاص والأحداث. وهذه الممارسات بعضها بدع قديمة كان يمارسها الجاهلي قبل النبوة، بينما بعضها الآخر بدع حديثة مارسها الإنسان مع التقدم العلمي الحديث، ومن هذه البدع ما يدخل في نطاق العادات التي تؤثر في السلوك، ومنها ما يندرج في نطاق العبادات ويؤثر في العقيدة والإيمان، ولهذا ينبغي على المسلم أن يراجع عاداته ويزن تصرفاته بميزان الشارع الحكيم حتى لا يعرض نفسه ودينه للشبهات.

القاهرة/ الدين والحياة

يأسف الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ الاجتماع في جامعة الأزهر لأن كثيراً من هذه التصرفات ارتبطت بعادات المجتمع وتقاليده، كما أنها أخذت شكلاً دينياً في بعض الأحيان، حيث يمارس بعض الناس هذه البدع بمسميات دينية وفهم خاطئ للنص الشرعي وروح التعبد.

وتأخذ هذه البدع أشكالاً اجتماعية عدة من ذلك:

التنجيم: أي الاستعانة بحركة النجوم لتوقع ما سوف يكون في المستقبل من خير أو شر أو مرض أو موت .

ضرب الودع أو ضرب الرمل: وهو عبارة عن الضرب بالحصا وتخطيط معين على الرمل لمعرفة ما يخبأ للإنسان في مستقبله .

قراءة الكف والفنجان: وهو استدلال بخطوط كف الإنسان أو آثار قهوة الفنجان على حظه في الدنيا .

قياس الأثر: أي أخذ قطعة من متعلقات الإنسان مثل الثوب أو الشعر وقياسها .

التمائم: أي تعليق بعض السلاسل أو الأحجية أو الخرزات أو الودع والحلقات بهدف دفع الشر والحسد وجلب الخير والنفع للإنسان .

فضلاً عما يرتبط بهذا من إتيان الكهان، أو مسألة التفاؤل بالقطة البيضاء، ونزول المطر أو التشاؤم من القطة السوداء، والغيوم، وغير ذلك .

العقل والأخذ والأسباب

وبرؤية اجتماعية يشير الدكتور السمالوطي إلى تراجع شرائح عديدة من الناس عن التعلق بهذه البدع، ولكنها لا تزال موجودة، خاصة عند بعض الشباب والسيدات وكذا الشريحة الاجتماعية التي تعاني بعض المشكلات الصحية والاجتماعية، ويرصد عدداً من أخطار هذه الخرافات بما يتصادم مع حقائق الإسلام وهدفه في حياة البشر ومن ذلك:

أولاً: هذه البدع تهون من شأن الإنسان وقدراته البدنية والعقلية، فهذا الإنسان الذي جعله الله خليفة له في خلقه ومنحه هذا العقل الذي هو مناط التكليف والاختيار ووسيلة البناء والإعمار، لا يمكن أن يأخذ قراره على أساس التفاؤل بخرز أو التشاؤم من لون القطة أو التعرف إلى المستقبل عن طريق حصوات أو خرزات أو عدد من الخيوط والآثار .

ثانياً: الناظر إلى الإسلام يجد أنه يدفع الإنسان إلى أمرين واسعين وهما الإيمان بالله الخالق المدبر الذي الأخذ بالأسباب في نطاق قدرة الإنسان وعقله وفهمه، والقرآن الذي يقرر مثل هذه المعاني في مئات المواضع: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير"، قرر كذلك في مئات المواضع مثل هذه المعاني: "ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى"، "فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً"، "وأتيناه من كل شيء سبباً . فأتبع سبباً" .

ثالثاً: هذه البدع تتصادم مع المكونات الأساسية للإيمان التي تدور حول كون الغيب بيد الله وحده، وكون الرزق بيد الله وحده، وكون الله تعالى هو الضار وهو النافع وحده، وهو وحده الذي يعلم قيام الساعة ويعلم السر ويعلم تقلبات الزمان والمكان والأحداث، وهو إيمان يزيل كل مظاهر الخوف والقلق التي تعتري الإنسان حول نفسه وماله وصحته وزواجه وطلاقه.

الشبهات الاعتقادية

ويفصل الدكتور عبدالمهدي عبدالقادر أستاذ الحديث بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر أسانيد الإسلام في رفض هذه الخرافات . ويقول: بالنسبة إلى تعليق بعض التمائم أو الخرزات أو لبس الحلقان وغيرها فهي مما ورد فيه النهي بشكل مباشر، وقد يقول قائل إن هذه المتعلقات ليست بهدف جلب الخير أو دفع الشر أو الاعتقاد في الخرزة أو الشيخ الذي كتب هذا الحجاب أو غيره، وهذا كلام طيب، لأنه لا يجعل مثل هذه البدع تدخل في مجال بدع العقائد أو بدع العبادات التي قد تخدش عقيدة التوحيد وتبعد صاحبها عن الإيمان الخالص، ولكنها تظل في باب الشبهات التي تدنو بصاحبها من المعصية وتجعله شبيهاً بمن يمارسون بعض الشركيات، بقصد نادراً ومن دون قصد في الغالب .

ولهذا رأينا النصوص الشرعية تدفع المؤمن للإيمان الخالص وتبعده عن الشبهات وتحذر من التمائم وهذه المعلقات .

يقول الحق تعالى في مبدأ سد مثل هذه الشبهات الاعتقادية: "قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون" .

وفي الحديث عن أحمد والحاكم وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا أودع الله له" وفي حديث أحمد: "من علق فقد أشرك"، وفي رواية عائشة رضي الله عنها: "ليست التميمة ما يعلق به بعد البلاء، إنما التميمة ما يعلق به قبل البلاء" .

وحتى يجرد الإسلام النفس من الاعتقاد في ما دون الله، قال عليه الصلاة والسلام: "من علق شيئاً وكل إليه" .

وهكذا يدعو الرسول كل أحد إلى التوكل الخالص على الله، ثم الأخذ بالأسباب الظاهرة عند الخوف أو المرض، ولهذا قال عليه السلام: تداووا فإن الذي خلق الداء خلق الدواء" .

عضو مجمع البحوث الإسلامية – رئيس جامعة الأزهر الأسبق

استفت قلبك

حكم قبول الهدية من المقترض

د . صبري عبدالرؤوف

القرض هو: ما يعطيه الإنسان من ماله لغيره ليسترده مرة أخرى في وقت يتم الاتفاق عليه . والمال المدفوع يسمى: قرضاً . والدافع للمال يسمى: مقرضاً . والأخذ للمال يسمى: مقترضاً . والقرض مستحب لما فيه من القربة إلى الله عز وجل بتفريج كربة المكروب وتيسير الأمر على المعسر .

واستدل الفقها، الأجلا، على مشروعية القرض بما جا، في كتاب الله عز وجل وبما جا، في سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة الإسلامية على مشروعية القرض من غير إنكار من أحد . واستدلوا بما جا، في قوله تعالى في سورة البقرة: "مَن ذَا الذي يُقْرِض اللهَ قرضاً حسناً فيُضاعفَهُ لَهُ أضعافاً كثيرة والله يقبضُ ويبسُطُ وإليه تُرجَعُون" .

القرض الحسن

ووجه الدلالة في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى رغب في القرض وجعل المقرض لغيره كأنه أقرض الله عز وجل، وفي الحديث الصحيح إخبار عن الله عز وجل: "يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، استطعمتك فلم تطعمني، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي" .

وهذا كله خرج مخرج التشريف لمن كني عنه ترغيباً لمن خوطب به، ولما رغب سبحانه في الإقراض اتبع بجملة مرهبة مرغبة، فقال جل شأنه: "والله يقبض ويبسط"، أي يضيق على من شاء من عباده في الرزق ويوسعه على آخرين، أي لا تبخلوا عليه بما وسع عليكم، لئلا يبدو السعة التي أنتم بها بالتضييق عليكم .

واستدلوا أيضاً على مشروعية الرهن بما جاء في صحيح مسلم عن أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسلف من رجل بكراً فقدمت إليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع بأن يقضي الرجل بكره، فرجع أبو رافع إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله لم أجد فيها إلا خياراً رباعياً (أي أفضل مما اقترضنا)، فقال له سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء" . وقد أجمعت الأمة الإسلامية على مشروعية القرض وأن القرض لا بد أن يكون قرضاً حسناً، أي: أن يكون القرض بلا زيادة عما أخذ المقترض، وهذه مسألة لا خلاف فيها بين الفقهاء . لأن المقرض ما دام قد أقرض الله عز وجل فعليه أن يكون على يقين بأن الله سبحانه وتعالى هو القابض الباسط، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، فما دام كل شيء بيد الله عز وجل فعليه أن يكون عوناً لغيره طاعة لله وشكراً لله على ما أنعم به عليه من نعم، فهو المنعم على الجميع وهو الرازق لمن يشاء، بغير حساب .

ولهذا لا يجوز للإنسان أن يأخذ شيئاً مقابل هذا القرض وإلا كان ما يأخذه ربا، ولهذا فقد رأينا الفقهاء، اختلفوا في حكم أخذ الهدية مقابل القرض، فالقرض إذا كان خالصاً لله عز وجل ولم يحصل المقرض على فائدة تعود عليه من وراء إقراض غيره فإن قرضه سوف ينال جزاءه من الله عز وجل .

أما اشتراط الهدية على المقترض في مقابل القرض، حتى لو كانت بموافقة المقرض والمقترض، فإن الفقها، قد أجمعوا على أن هذا القرض يكون حراماً طبقاً للقاعدة "كل قرض جر نفعاً فهو ربا" .

قولان ثابتان

ولكن إذا كان المقرض لم يشترط على المقترض هدية أو ما شابه ذلك على سبيل التعويض في مقابل القرض فهذه مسألة خلافية . فنحن أحيانا نرى أحد الناس يأتيه قريب أو صديق يطلب منه قرضاً بلا فائدة، فنجد المقرض يقول لك: أعطيك ما تريد ولكن بشرط أن تعطيني الفائدة البنكية، أي يعطيه النسبة التي يعطيها البنك لمن يتعاملون معه، والطرف الآخر نراه في الأغلب نظراً للظروف الشديدة التي يمر بها يوافق على هذا الاتفاق، ولكن هذا الاتفاق ليس عن طيب خاطر فالمقترض يجد نفسه مضطراً لأنه مقهور، ولهذا رأينا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه" . وهذه الزيادة ليست بطيب نفس، ولهذا كانت الفائدة التي تم الاتفاق عليها حراما، وهذا بالنسبة إلى الزيادة المشروطة أو الهدية المشروطة، أما إذا كانت الهدية غير مشروطة ولم يكن المقرض ينتظر شيئاً من المقترض وإنما أقرضه ما أقرض من باب تفريج كرب المسلم وإزالة الهم عن قلبه وتيسير الأمر له وفوجئ بالمقترض يأتيه بهدية فماذا يفعل معه؟ ما دام لم يشترط عليه عند طلب القرض وفوجئ به يقدم له هدية غير مشروطة، فإن العلماء اختلفوا في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهب إلى جواز قبول الهدية مستدلا بما رواه ابن سيرين من أن سيدنا عمر رضي الله عنه أسلف أبي بن كعب رضي الله عنه عشرة آلاف درهم فأهدى إليه أبي بن كعب من ثمرة أرضه، فرد سيدنا عمر رضي الله عنه الهدية إلى سيدنا أبي بن كعب ولم يقبلها، فأتاه سيدنا أبي بن كعب وقال له: لماذا لم تقبل الهدية التي أرسلتها إليك؟ فأجابه قائلاً: إنني أقرضتك وهذه فائدة تعد عليّ . فقال له سيدنا أبي بن كعب: لقد علم أهل المدينة أنني من أطيبهم ثمرة، وهذا معناه أن ثمار نخيل سيدنا أبي من أطيب ثمار النخيل بالمدينة، وقد أهدى منها الصحابة الكرام ثم أهدى سيدنا عمر بعد ذلك فقبلها منه .

وهنا نرى أن سيدنا عمر رضي الله عنه حين توهم أن أبي بن كعب أهدى إليه مقابل القرض رفض قبول الهدية، ولما تبين له أن الهدية لا علاقة لها بالقرض قبلها منه .

ورد عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال لسيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "إنك بأرض الربا فيها فاش إذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير فإنه ربا" .

وهذا القول الثاني يدل على حرية قبول الهدية لمن أهدي إليه مقابل القرض، أما القول الأول فقد ذهب إلى أن الهدية مباحة ما دام المقرض لم يشترط على الهدية من المقترض منه وإنما أقرضه قرضا حسنا من أجل رضا الله عز وجل ولم ينتظر مثوبة من المقترض وإنما ينتظر المثوبة من الله عز وجل القادر على كل شيء .

وهذان قولان في ما يتعلق بجواز قبول الهدية أو عدم قبولها، والقولان ثابتان بفعل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين وهنا نقول للإنسان: استفت قلبك، وإن أفتاك الناس وأفتوك . وانتبه ما ترتاح إليه نفسك ويطمئن إليه قلبك .

فإن أخذت بأي القولين فلا حرج عليك، شرط أن تفكر جيداً في ما ستأخذ به وتتأمل دليل كل فريق .

* أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأزهر

العروبة

هائل الصرمي

إنني أبكي لأمه تكتوي ظلماً وظلمه ... نَحَرَ الغربُ كياني حافراً في وجهيَ اسمه

هجمَ الباغي عليها فتلقتْ بالملمّه ... أنا من أغتالُ نفسي قبل أن اطلبَ حَسْمَه

كلما أذكرُ ماضيها تُصيبُ القلبَ غمّه ... أنا من أهديتُ للأعداء أوطانيَ لقمه

أنا لا أبكي لخطبٍ عارضٍ يغتالُ بسمه ... أرفعُ التقريرَ سريا لكي أغتالُ أمه

إنما أبكي لمجد كانَ في الآفاقِ قمه ... أرصدُ الأحرارَ للطاغي لكي يُشبعُ نَهْمَه

صَرَفَ الدنيا بحزمٍ وغدا للكونِ رحمه ... أي نصر لعروشٍ يعبد الحاكمُ حكمهْ

وتوارى اليوم عنا بعدما أدى المهمه ... لشعوبٍ تنصر الظالم لو مزقَ سِلَمَّهْ

بعدما صرنا شواءً يمضغُ الأعداءُ لحمه ... لأسيرٍ تحت ظل السوط يشقى دون تهمة

واستعرنا السفه الغربيَ قانوناً وحكمه ... لنظام جَوَّعَ الشعبَ وأضحى الشعبُ طعمه

غادر المجد ديارِي وطوى جهليَ علمه ... أي نصر سوف أجني لو تفوهت بشتمه

غادر العزُّ ربوعي وطوى شوكيَ كرمه ... إنني أبكي لحالي وأضم الجرح ضمه

وغزَا الطاغوت فكري فإذا غرميَ غنمه ... إنني أنصرُ جيلاً حَطَّمَ الأعداءُ حُلمه

مزّقَ الجسمَ وعَرَّى هُدْ أصابَ الرأسَ حمّه ... سوف أرمي بحذائي كل من يغتالُ سلمَهْ

هَدْ تاريخي بكفي دونَ أن يفرضَ هدْمَهْ ... كل من يسلب أوطاني ويعطي دون رحمه

ومحى رسمَ وجودي وأنا انحتُ رسمه ... ربما أشفي غليلي لو رجمتُ البغيَ رجمه

واحتوى بري وبحري والفضاءَ الطلقَ جُرمهْ ... غير أن الوطنَ المسلوبَ لن ياتي بجزمة

ومضى يأمرني اليومَ لكي أزرعُ لغمه ... لن يدومَ القهرُ بالأوطانِ لو في القلبِ همه

بعدَ أن قدّمَ لي الشّهدَ والقى فيهِ سُمّه

«وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ..»

وجه القرآن الكريم أنظار الناس إلى السير في الأرض والنظر فيها بعين الاعتبار ليعرفوا ما حدث للذين من قبلهم "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين"، وهذا الذي حل بهم من هلاك وابتلا.. حتى كانت بيوتهم خاوية، وكان ذلك بسبب تكذيبهم وكفرهم بالنعم التي أنعم الله بها عليهم .

د . أحمد عمر هاشم

وإذا كان ربط الصلة بالله على أساس متين، وربط الصلة بالمجتمع، والدعوة إلى الخير من ركائز التمكين في الأرض، فإن هناك أسساً أخرى لا تقوم سعادة الفرد أو الجماعة، ولا الذكر ولا الأنثى، ولا الأسرة أو الهيئة أو المجتمع أو الأمة . إلا على أساسها .

وقد حددها القرآن الكريم وجعل منها نظاماً إلهيا يربط به سعادة الفرد والجماعة . قال سبحانه وتعالى: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" .

وهكذا نرى أن الله تعالى يوفر لعباده أسباب الحياة الطيبة، وهي السعادة والاستقرار والأمن والتمكين في الدنيا . وأما في الآخرة، فإن لهم جزاء وافراً على ما كانوا عليه من إيمان واستقامة، وهذا الجزاء ليس بمقدار ما كانوا يعملون ولا أوسط ما كانوا يعملون وإنما هو جزاء "بأحسن ما كانوا يعملون" .

ومن أهم أسباب السعادة والتمكين، ما تحدث عنه القرآن في قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغني عنه ماله إذا تردى" .

وهكذا نرى كيف سعى الناس في الحياة، فمنهم من يتجه إلى ما فيه الخير، فيزداد بالخير والحسنى، ومنهم من يتجه بغير الخير، فيتردى في العسرى، ويؤكد القرآن الكريم الوعد الحق بالحياة الطيبة وبالسعادة والتمكين، وبالرغد في العيش لمن استقاموا على الجادة وساروا على هدى الله ونوره، بأن رفض هذه الخرافات . ويقول: بالنسبة إلى تعليق بعض الشارة أو الضائقة ويدفع عنهم كل بلاء وكارثة، ويأتيهم بالرزق من كل مكان وينزل عليهم بركات من السماء والأرض . قال سبحانه: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض" . وقال تعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب" .

وتكشف السنة الشريفة مع كتاب الله تعالى عن أسباب الكوارث والضائقة المالية أو الضائقة النفسية، وما يصيب الإنسان، وأن لذلك سبباً مباشراً هو عصيان الله وعدم الاستقامة على منهج الحق، وذلك بارتكاب الذنوب . يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه "والذي نفس محمد بيده، ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر" . ويقول الله سبحانه وتعالى: "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" .

وقد ضرب الله الأمثلة في القرآن الكريم بتلك الأمم التي ظلمت وكفرت، فذهبت وزالت، واصبحت أثرا بعد عين، وذلك بما جحدوا وكفروا وظلموا أنفسهم بأيديهم، وما ربك بظلام للعبيد . فنبه كل الظالمين بهذه العبرة ليكون لهم في ذلك ما يوضح لهم حقيقة الأمر في الحياة، وأن الله لا يغفل عما يعمل الظالمون . قال تعالى: "ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال . وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال" .

فالقرآن الكريم يركز كل أسباب السعادة والتمكين والنصر والاستقرار في الحكم بما أنزل الله . يقول سبحانه: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً" .

الاحتلال يعمم صوراً للأقصى أزيلت من حوله قبة الصخرة

غزة . عممت جهات تابعة لجيش الاحتلال الإسرائيلي صورة للمسجد الأقصى أزيلت من حوله قبة الصخرة، مدعية أن الصورة تمثل ما أسمته بـ«جبل المعبد» وهي التسمية التلمودية للمسجد الأقصى خلال فترة الهيكل الثاني.

ونشرت صحيفة «هآرتس» اليوم خبرا أشارت فيه إلى أن ما يسمى بالمرجعية الدينية في جيش الاحتلال «هيرانوت هتسهئيت» عممت لضباط الجيش صورا إرشادية بمناسبة «عيد الأنوار» اليهودي تظهر المسجد الأقصى المبارك دون قبة الصخرة فيما ظهر في إحدى الصور توصيف ما يسمى بـ«عيد البطولة اليهودية» تضمنت مقالا ومسابقة وصفت صراع «اليهود المكابيين» مع اليونانيين وظهر في الخلفية صورة حديثة لمحاذ البراق والمسجد الأقصى دون قبة الصخرة.

ولفتت «هآرتس» إلى أن أوساطا في جيش الاحتلال أبدعت إن استعمال هذه الصورة المنتجة جاء لتوضيح الأحداث خلال تلك الفترة التاريخية حيث لم تكن قبة الصخرة قائمة آنذاك.

وأضافت أن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي زعم أن هذه العروض من الصور المنتجة وكما نرى هي خرافات لا تتفق مع دين ولا عقل ولا منطق يسيّر به الإنسان أموره .

وفي التطير كان الجهال يأخذون قراراتهم حسب وجهة الطير.

واليوم قد يتطير بعضنا بدار أو يوم أو شهر أو موت أحد أو وفاة أحد أو لون سيارة، أو غير هذا، ولو أثر هذا التطير (التفاؤل أو التشاؤم) في قرارات الإنسان المرتبطة بالرزق أو الأجل أو دفع الشر وجلب الخير، فإنه يكون قد ارتكب إثماً كبيراً .

وللتدليل على هذا الإثم أن القرآن ذم التطير واعتبره سلوك أعداء الله ورسوله، يقول القرآن عن مثل هؤلاء: "وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه"، "قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم . قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون" .

وفي حديث أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر" أي لا عدوى للمرض بذاته بعيداً عن قدر الله، ولا تطير بطائر ولا غيره، ولا تشاؤم بشهر كشهر صفر على نحو ما كان يتشاءم أهل الجاهلية من شهر صفر .

التشاؤم والتفاؤل

ومن الأمور التي تفتح باباً واسعاً للشبهات كذلك، مسألة التفاؤل والتشاؤم، فهي من الناحية المبدئية قد تبدو بسيطة ولكنها قد تقترب من الخرافات والشركيات .

يقول الدكتور عبدالمهدي عبدالقادر: التفاؤل والتشاؤم من الأمور التي حذر منها الإسلام وسمتها النصوص الشرعية بالتطير أو الاستقسام بالأزلام .

القرآن الكريم اعتبر الاستقسام بالأزلام فسقاً محرماً، فقد قال تعالى بعد أن ذكر ما حرمه الله من الأطعمة: "وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق"، وهذه الصورة كانت موجودة في الجاهلية حيث كان الواحد منهم يأتي بأسهم ويكتب على أحدها "أمرني ربي" وعلى الثاني "نهاني ربي"، ولا يكتب على الثالث شيئاً، فإذا أراد زواجاً أو سفراً أو حرباً استعان بالسهم وقرر رأيه بناء على الأمر أو النهي المكتوب على السهم .